

البُعد السيكولوجي للإبداع الفني عند "عز الدين اسماعيل" من خلال كتابه "التفسير النفسي للأدب  
**la dimension psychologique de la créativité artistique du critique "Izz  
 Eddine Ismail " à travers son œuvre "L'interprétation psychologique de  
 la littérature**

الدكتور مصباحي علي

كلية اللغة والادب العربي جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

البريد الإلكتروني mesbahi-ali@univ-eloued.dz

رقم الهاتف 0698905021



يتناول هذا المقال البُعد السيكولوجي للأبداع الفني عند الناقد "عز الدين اسماعيل" من خلال كتابه "التفسير النفسي للأدب"، فبعد اضاءة عامة حول أهمية الكتاب في الساحة النقدية السيكولوجية إذ يعتبر أحد اللبانات الصلبة في الصرح النقدي، تناولت البُعد السيكولوجي للمبدع من أربعة محاور وهي :

اولا : دوافع الابداع عند المبدع والاسباب التي تؤدي به للأبداع

ثانيا: الجانب النرجسي في شخصية المبدع، فبعد التعريف بهذه العقدة أجبنا عن مجموعة من الاسئلة تدور رحاها حول علاقة النرجسية بشخصية المبدع .

ثالثا: وهو العُصاب فبعد التعريف بهذا المرض أجبنا من خلال رؤية الناقد عن العديد من التساؤلات التي تشكل تجربته النقدية ، أهمها ما علاقة المبدع بالعصاب وهل له دور في تحريك قريحة المبدع ؟

رابعا: العبقرية وتطرقنا لرؤية الناقد للعبقرية وتعريفها بدقة وقياسها وأهم الدراسات التي تناولها العلماء.

وفي الاخير الخروج بالعديد من النتائج التي تُعبر عن الرؤية السيكولوجية للأبداع الفني عند الناقد

**الكلمات المفتاح : الفنان - العصاب - النرجسية - الابداع - السيكولوجي ..**

Abstract: Cet article examine la dimension psychologique de la créativité artistique du critique "Izz Eddine Ismail " à travers son œuvre .  
 .""L'interprétation psychologique de la littérature  
 Premièrement : les motifs de la créativité chez le créateur et les raisons qui le .conduisent à la créativité  
 Deuxièmement: le côté narcissique de la personnalité du créateur. Après avoir introduit ce nœud, j'ai répondu à un ensemble de questions qui tournent .autour de la relation du narcissique avec la personnalité du créateur  
 Troisièmement: il est le neurochirurgien. Après avoir défini cette maladie, j'ai répondu en voyant le critique à propos de nombreuses questions qui constituent son expérience critique, dont la plus importante est la relation du créateur avec le neurochirurgien, et a-t-il un rôle dans le déplacement de ?l'orthèse du créateur  
 Quatrièmement: le génie: j'ai abordé la vision du critique à la génie, sa définition précise et sa mesure, et les études les plus importantes couvertes .par les scientifiques  
 Enfin, des nombreux résultats qui expriment la vision psychologique de la .créativité artistique chez la critique  
 .Keywords: Artiste - névrose - narcissisme - créativité – psychologique



. مقدمة:

في ظل الاحتكاك الثقافي والمعرفي بين العرب والغرب الناتج عن البعثات العلمية ورهانات العولمة ظهرت كوكبة من النقاد العرب تحمل اقلاما ذات فكر مُتميز اصطبغ بالفكر الغربي ومناهجه الحديثة كالمنهج السيميائي والمنهج البنيوي والمنهج السيكلوجي... الخ، فقد عمل هؤلاء النقاد بفكرهم الموثوب أن يشاركوا في اثناء الساحة النقدية ومسيرة التطور الرهيب الحاصل في مجال النقد المعاصر فظهرت كتابات جديدة متميزة بحيث لم ترض بالموروث من الاحكام الانطباعية النقدية ولا بالقراءة العابرة الفوقية، بل راحت تعكف في دراسة الاعمال الادبية في تأن وصرير مُستهدية في دراستها بمختلف المقاييس والمناهج النقدية الغربية المعاصرة، ولعل من طليعة هؤلاء النقاد الذين بحثوا في أبعاد السيكلوجي للأبداع الفني الناقد المصري "عز الدين اسماعيل " من خلال ما كتبه من كتابات عميقة تبث في الاسس الاستمولوجية للمناهج النقدية المعاصرة عامة والنقد السيكلوجي خاصة، التي كانت في الايام القليلة الماضية حكرًا على علماء الغرب خاصة في

مؤلفه "التفسير النفسي للأدب" فما هو البُعد السيكولوجي للأبداع الفني في كتابه التفسير النفسي للأدب يا ترى؟ وكيف رأى الناقد أصل الابداع وارهاساته الأولية وأهم دوافعه؟  
 أولا- عز الدين اسماعيل والتفسير النفسي للأدب :

يعتبر كتاب "عز الدين إسماعيل" التفسير النفسي للأدب " من المراجع الهامة التي تهتم بدراسة العلاقة التي تربط بين الأدب والنفس والتي أقر الناقد أنها علاقة لا تحتاج إلى إثبات، لأن النفس - كما يقول-: >> هي التي تصنع الأدب، وكذلك الأدب يصنع النفس، والنفس تجمع أطراف الحياة لكي تصنع منها الأدب، والأدب يرتاد حقائق الحياة لكي يضيء جوانب النفس، والنفس التي تلتقي الحياة لتصنع الأدب هي النفس التي تلتقي الأدب لتصنع الحياة<<<sup>1</sup>.

كما يؤسس هذا الكتاب لدراسة جادة مُستوفية الأركان، بل يُشكل حجر الزاوية في صرح النقد السيكولوجي العربي المعاصر وأصل الابداع الفني، لما يحويه من نظرات وتفسيرات نقدية للعديد من المدونات شعرا أو نثرا، سواء أكانت عربية أو غربية؛ قديمة أو حديثة، في ضوء التحليل السيكولوجي للأدب باعتبار أن هذا المنهج تمكن أهميته في أسسه المعرفية وإجراءاته التطبيقية في تفسير تلك المشكلات النابعة من الوسط الاجتماعي الذي نعيشه في حياتنا الخاصة أو العامة، والتي قد تُترجمها الأعمال الأدبية والفنية عند المبدع.

لقد انطلق "عز الدين إسماعيل" من حيث انتهى مجموعة من النقاد العرب في دراستهم النقدية ذات الصلة بالمنهج السيكولوجي الذي يبحث عن علاقة الأدب بالنفس، وأصل الابداع في تشكله ومدى تأثير كل واحد في الآخر، خاصة مع بداية النهضة الأدبية الحديثة، وما انجر عليها من تطور علمي كبير، حيث جاءت هناك العديد من اتجاهات الفكرية التفسيرية التي تبحث عن كُتب في العلاقة بين الأدب والنفس، وبتحديد معالمها (العلاقة) تحديدا غير أن هذه الاتجاهات كانت تتسم بالطابع الانفعالي أكثر منها بالطابع العلمي<sup>2</sup>.

وقد كان للروافد الثقافة الغربية دور كبير في تعزيز وبناء أسس النقد السيكولوجي في البيئة العربية ليدكر "عز الدين اسماعيل" أهم الدراسات التي كان لها قصب السبق في هذا الحقل والتي استفاد منها وأفاد بإثرائها والتي من أهمها:

- في عام 1939 نشر الأستاذ " محمد الخولي " مقالا في << مجلة الآداب >> بعنوان << البلاغة وعلم النفس >> وأكد فيه الاتصال الوثيق بين البلاغة وعلم النفس، وأثر الخبرة النفسية في العمل الادبي وأكد على أن علم النفس ضروري لفهم البلاغة<sup>3</sup>.

- الآراء النقدية السيكولوجية للأستاذ "محمد خلف الله" والتي نشرها في كتابه << من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونفده >> إذ يجمع هذا الكتاب بين الخبرة العلمية والعملية خاصة في الفصل الثالث في النقاش حول الأسس الفنية والدوقية بين " صامويل تايلر كولريديج " Samuel Taylor Coleridge و " ويليام وردزورث " William Wordsworth، وهو كتاب يُعتبر محاولة مثمرة لشرح العلاقة بين الأدب وعلم النفس على أسس موضوعية<sup>4</sup>.

- الكتابات المبكرة لكل من "عباس محمود العقاد" و"طه حسين" خاصة في دراساتهم لبعض الشعراء القدامى مثل ما كتبه " العقاد " عن " أبي نواس"، إذ انتهى في هذه الدراسة إلى أن "أبا نواس" كان نرجسيا. وكذلك في كتابه عن " ابن الرومي" فحاول أن يُجدد معالم شخصيته خاصة أن التشاؤم سيطر عليها .

ويقر "عز الدين إسماعيل" أنها محاولات تتسم بالخصوصية والجزئية، لم تشكل منهجا متكاملًا، حيث يقول: " لكننا نقرر أن هذه الدراسات المبكرة لم تصطنع منهجا معينًا من التحليل محدد المعالم، ومن ثم ظل منهجا خاصا بها بحيث كانت كل شخصية تمثل تجربة جديدة، يُنتفع بها في إطارها الخاص ، لا يسهل الانتفاع بها خارجه"<sup>5</sup>.

- دراسة "محمد النويهي" في كتابه << ثقافة الناقد الأدبي >> حيث حدّد فيه المعارف النفسية التي يجب أن يتسلح بها الناقد، وكذلك كتابه " شخصية بشار" ففيه محاولة جديدة مختلفة عن دراسات "عباس محمود العقاد" خاصة في تحليل شعره، حيث اعتبر إنه كتاب يستحق الثناء.

وفي الأخير يُصرح "عز الدين إسماعيل" أن الهدف من تأليف هذا الكتاب هو أمله في أن يتقدم خطوة في سبيل تأكيد المنهج العلمي في دراسة الأدب، توضح معالم هذا المنهج بطريقة تطبيقية عملية تنصب في دراسة الأعمال الأدبية، وكما اجتهد الناقد في وضع بين أيدي الباحثين وطلاب العلم تطبيقات كثيرة من الشعر والأدب المسرحي والأدب الروائي لمؤلفين أجانب وعرب

قداىى ومحدثين وقد انتقى هذه النماذج المتنوعة لأنها تجلو وتوضح معالم هذا المنهج من جهة وتساعدهم فى تطبيق هذا المنهج فى دراساتهم النقدية من جهة أخرى<sup>6</sup>.  
وفى هذا السياق يقول : "لوس كامل مليكة">> لقد أراد "عز الدين إسماعيل" أن يُشرك قراء العربية فى هذا التراث العلمى النفسى وأن يُرسى لبنات فى صرح بناءٍ مهَّد له الأرض من قبل رواد من فطاحل أدبائنا<<<sup>7</sup>.

فالنقاد من خلال خوضه غمار هذه الدراسة فى عالم النقد والبحث فى البعد السيكولوجى للأبداع الفنى يضع لبنات أساسية فى هذا الصرح الذى سبقه فى كتابة فيه مجموعة من النقاد العرب وبهذا أراد الناقد أن يستكمل ويتم حلقة علمية ضمن سلسلة حلقات علمية سابقة تتكامل ولا تتزاحم، وأن يسد بعض الثغرات التى وقع فيها السابقون من جهة وكذلك يؤسس لمنهج متكامل الأركان والأهداف من جهة أخرى، فىكون هذا المنهج قنديلا يضيء زوايا عوالم النص الأدبى – إن صح التعبير – الذى قال عنه النقاد أنه مراوغ مختال يخفى فى مضامينه للقارئ أكثر مما يظهر ويبحث فى أصل الأبداع الفنى خاصة من جوانبه السيكولوجية.  
ثانيا – الابداع الفنى حكم وتفسير:

يرى "عزّ الدين إسماعيل" أن النقد القديم سواء أكان العربى أو الأوروبى حفل بالعديد من النظريات الصائبة التى تبحث فى أصل الابداع إلا أن هذه النظريات تحمل فائدة جزئية فلم يحاول النقاد القداىى باستثناء ما قدمه "أرسطو طاليس" Aristotle Talisse أن يشرح تلك العلاقة الحيوية بين الفنان والفنّ، ومتلقى الفن، إذ أن النقد كان ينصب على العمل الفنىّ نفسه، أما كيف أنجز هذا العمل الفنى؟، والهدف من إنجازه؟ وما دلالاته؟ ولمن أنجزه؟، ومن يتلقاه؟ فأسئلة لا تظفر لها بجواب، لأن النظرة النقدية فى القديم غلبت عليها فكرة التقويم الأخلاقى والجمالى.

ومع القرن العشرين سار النقد الأوروبى خطوات مطمئنة فى بلورة اتجاه أكثر شمولية يجمع بين اتجاهين (الأخلاقى والجمالى) وعلى الرغم من أن علم النفس والأدب يتناولان موضوعات واحدة هي الخيال والأفكار والعواطف والمشاعر إلا أن الدراسات بقيت قليلة كما يُقر ذلك "روباك" Roback<sup>8</sup>، إلى أن جاء "سيغموند فرويد" Sigmund Freud الذى انتهج طريقة جديدة فى نظره الى الفن والأدب فى رسالته عن "ليوناردو دافنشى" و"هولدرلين"

Hölderlin فكان مثلاً لتابعيه يقتدون به في هذا المجال إلى أن أصبح لدينا الآن ما قد يصل إلى مئات الكتب والمقالات التي تنتظم في الحقل العلمي عامة والحقل السيكلوجي خاصة، من " سانبول" إلى " جيمس جويس" [James Joyce](#) <sup>9</sup>.

وقد أقرّ " عزّ الدين إسماعيل" إلى ضرورة الربط بين الفنان وفنه، ومتلقي فنه، حتى تتكامل الرؤية وتشكل نظرية عامة حول الفن، لأن دراسة الفنان وحده غير كافية، إلا أن هذا الربط يقول الناقد تبرز فيه مشكلتان أصلهما مشكلة واحد ذات شقين، أما المشكلة فتتمثل في العلاقة الكمية والكيفية بين المنهج التحليلي النفسي والأعمال الفنية وأما الشقين فيتمثلان في :

### (1) - العلاقة بين المنهج التحليلي النفسي والأعمال الأدبية القديمة :

ففي الشق الأول تتمثل المناقشة في العلاقة بين المنهج التحليلي النفسي والأعمال الفنية القديمة، أي التي سبقت ظهور التحليل النفسي، فقد وجدت بعض الدعاوى التي تذهب إلى أن الأدب القديم لا يجوز أن يُفسر في ضوء المعارف الحديثة ما دام لم يشهد هذه المعارف ولم يُعاصرها ونتيجة لذلك لم يتأثر بها، فيما يرى أصحاب هذا الاتجاه وهذه الدعاوى أن "وليم شكسبير" William Shakespeare لم يعرف " فرويد" فعلى ذلك يكون الاستنتاج هو أن نظريات " فرويد" لا يمكن أن تطبق على مسرحيات " شكسبير".

ولكن الحقيقة التي يُقرها " عز الدين إسماعيل" أن "فرويد" قد أفاد كثيرا من " شكسبير" في تفسيره بشخصية " هلمت" Helmut وهو التفاعل الذي لا بد منه بين تيارات الحياة المختلفة، فينتج عن ذلك تأثير وتأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وربما كانت جميع هذه التيارات من أصل واحد، " هنري فبرجسون" Henri Bergson في الفلسفة، و" دافيد اميل دوركايم" David Émile Durkheim في الاجتماع، و" فرويد" في علم النفس، و"بروست" Proust في الأدب، كل هؤلاء كانوا مظاهرا مختلفة لظاهرة واحدة وهي روح العصر <sup>10</sup>.

### (2) العلاقة بين نتائج التحليل النفسي والإبداع الفني :

ففي الشق الثاني من هذه المشكلة فيتحدد في العلاقة بين نتائج التحليل النفسي والإبداع الفني لدى الكتاب والشعراء والفنانين المعاصرين، فقد صارت هذه النتائج في متناول الجميع،

وصار كل مبدع يُلم بطرف منها عن طريق الدراسة والقراءة أو عن طريق السماع ومن ثمَّ يُطرح سؤالاً كبيراً: هل يجب على كل مبدع أن يُلم بهذه النتائج؟ وأن يُفيد منها في إبداعه وعمله الفني؟ يؤكد الناقد أن كبار الفنانين أمثال " ولِيم شكسبير " و " أونوريه دي بلزاك " Honoré de Balzac و " فيودور دوستويفسكي " Fyodor Dostoyevsky قد أخرجوا أعمالهم الفنية العظيمة دون أن تتاح لهم الفرصة لقراءة ولو كلمة واحدة في التحليل السيكلوجي، حتى " مارسيل بروست " Marcel Proust القصاص الكبير الذي عاصر التحليل النفسي، وعاصر " فرويد " من المرجح أنه لم يعتمد على نتائج التحليل النفسي كي يستغلها، أو يكتب على هدى منها روايته النفسية الكبيرة << في البحث عن الزمن الضائع >>. <sup>11</sup>

ولكن الحقيقة التي يجب ألا ننكرها أن نتائج التحليل النفسي مادة خصبة كي تصلح أن تكون مادة للعمل الفني، فإن انكارها هذا مغالاة وقصور في الوقت نفسه في إدراك قيمة هذه النتائج، فإذا كان بين الأدب وبين علم النفس اشتراك كبير في الكثير من القضايا فليس معنى هذا أن علم النفس يستطيع أن يفيد في إنشاء الأدب، ولا يمكن لأي أحد من علماء النفس أن يطمع في أن يجعل الأدب ملحقاً بعلم النفس، أي أن يكون الأدب هو الصورة الشعبية التي تصاغ فيها حقائق علم النفس، ومعنى هذا أن علماء النفس لا يمكن أن يكونوا نقاداً للأدب لمجرد أنهم يستطيعون تفسير الإشارات والرموز التي ترد في العمل الأدبي والفني، بإستثناء " فرويد " فإنه لم يكن مجرد عالم نفساني فقط بل كان واسع الاطلاع على الآداب الأوروبية ومتمثلاً لروحها كل التمثيل <sup>12</sup>.

و الخلاصة التي ينتهي إليها " عز الدين اسماعيل " هي أن الأدب والفن بصورة عامة له كيانه المستقل، وله دوره الفعال في الحياة ، والمتمثل في الكشف عن مجموعة الحقائق التي تمثل الحياة والتي تشكل علاقة الإنسان بها، وهو بذلك كعلم النفس وكغيره من العلوم التي لها الهدف نفسه، وإن اتخذت إلى ذلك منهجاً مغايراً للمنهج الأدبي، وأن الأدب وعلم النفس منهجان متوازيان في ارتياد هذه الحقائق وليسا متداخلين، فنحن إما أن ننشئ أدباً أو نكتب علمًا، وأن الميدان الصحيح الذي يمكن أن تستغل فيه نتائج الدراسات النفسية هو ميدان النقد الأدبي <sup>13</sup>.

ثالثاً- الدوافع إلى الإبداع:

استهل الناقد " عز الدين إسماعيل" التحدث عن هذه النقطة بطرح الأسئلة التالية : لماذا يبدع الفنان؟ ولماذا يكتب الأديب؟

بطبيعة الحال هناك محاولات أولية لتفسير ذلك منها أن الكاتب يكتب رغبة في كسب معاشه أو حبا للشهرة، ولاشك أن كل من خط أفكاره، وتقدم بما إلى المطبعة يتوقى في نشرها مصلحة معينة، ولكن هناك من يكتب بأسماء مستعارة !

هناك تفسيرات تقول أن الأديب لا يكتب لكي يستمتع بغمار عقله، على نحو أو آخر وإنما يكتب لأنه يستمتع بعملية الإبداع ذاتها، فهذه المتعة هي الحافز على الكتابة لأنه يتخلص من وطأة الظروف الجاثمة على نفسه<sup>14</sup>.

والبحث في دوافع الإبداع - كما يُقَرُّ "عز الدين إسماعيل" - يفتح المجال واسعا لإدلاء كل برأيه، والحقيقة أن كل إنسان يتحرك لتلبية خاصة فيزيائية أو حاجة عقلية، وقد عرف الشعراء من غير شك أن الحب أو الكراهية والخوف هي القوى التي حركت الرجال والنساء وأن الإنسانية كلها تحركها قوة واحدة بسيطة اختار لها "فرويد" كلمة << الجنس >> وهي ككل الكلمات قد مالت إلى أن تأخذ أكثر من معنى، فتكون محمودة أو مذمومة بخاصة إذا ارتبطت بالسرور أو الألام أو ارتبطت بالسلامة أو بالخطأ، وقد رأى " فرويد" أن الفنان في صراعه اللاشعوري ينزعج فراح يبحث عن مهرب من واقعه إلى عالم الخيال مُجسدًا في إبداعه الفني، وكما هو معروف الشاعر يحتال على الواقع بالخيال؛ أي أنه يحاول أن يعمق الواقع بالخيال فهو إذن لا يهرب منه، وإنما يغوص فيه، والأصح أن نقول أنه يحاول الهروب من حالة إحساسه الحاد بواقعه النفسي الذي يموج بألوان الصراع هو أدنى إلى التخلص منه إلى الهروب، وعندئذ يكون الدافع إلى الإبداع هو الرغبة في التخلص من هذا الواقع لا الهروب منه<sup>15</sup>

كما عرض "عز الدين إسماعيل" رأي "رانك" Rank في دوافع الإبداع على أساس فكرة الإرادة لدى الفنان أي انتصار إرادة الفرد على إرادة النوع، الذي يتمثل في الناحية الجنسية ثم ليُعرض على تفسير " غوستاف يونغ" Carl Gustav Jung الذي يرى أن كل شخص مبدع يمثل ثنائية أو مركبا من النزعات المتعارضة، فهو من ناحية كائن بشري له حياته الشخصية، في حين أنه من ناحية أخرى أن العملية الإبداعية غير شخصية.

ويرى "يونخ" أن حياة الفنان مليئة بألوان الصراع لأن في داخله قوتين تتصارعان هما الميل البشري للسعادة والرضا، والاطمئنان في الحياة من جهة، والشوق الجارف إلى الإبداع إلى درجة أنه قد يتغلب على كل رغبة شخصية، ولأن الفنان مصاب بمركب النقص والشعور بالذنب فتجده يبحث عن حل ليستر هذا النقص من خلال إبداعه الفني.

والجدير بالذكر أن " فرويد" قد عزز نظريته في الدافع إلى الإبداع التي تقر بالدافعية الجنسية بنظرة أخرى وهي " الكبت" التي تتجلى في الرغبة اللاشعورية للابن في أن يحب أمه، ويحتل مكان أبيه، وتتجلى هذه الرغبة المكبوتة - كما يرى " فرويد" - في الأحلام فهي الحلقة التي تربط بين العمل الفني والنوازع الجنسية أو ما اصطلح عليه بعقدة أوديب.

و العمل الفني إذن تدفع إليه أسباب هي التي تدفع إلى الحلم، ويحقق الرغبات المكبوتة في اللاشعور ما يحققه الحلم، وهو كذلك يتخذ من الرموز والصور ما يُنفس عن هذه الرغبات، ويخلق بين هذه الرموز أو الصور علاقات بعيدة وغريبة في الوقت نفسه، ومن هنا تأتي المتعة التي يجدها الفنان في إخراج عمله الفني إلى الوجود وهذا ما يؤكد "جوته" حينما قال: >> أن أحسن قصصه في أثناء فترة نوم حالمته غريبة يقارنها بحالة النائم أثناء السير << somnambulist >><sup>16</sup>.  
وبتحقيق هذه الرغبة المكبوتة تكون المتعة عند المبدع، وهذا ما تحدث عنه "أرسطو" عندما تكلم على المسأة بأن هدفها التنفيس أو التطهير التي هي إزالة للعواطف الزائدة ، ليختم الناقد هذا الفصل بخلاصة مفادها أن الدراسات النفسية والتحليل النفسي استطاعت أن تكشف لنا عن الكثير من الخفايا النفسية عند الفنان، ولكنها لم تتمكن من معرفة كل شيء عنه<sup>17</sup>.

#### رابعا- مشكلة الفنان:

يرى الناقد "عز الدين اسماعيل" أن هناك الكثير من الغموض يكتنف شخصية الفنان، وهذا الشيء الذي أدركه الناس في كل الأزمنة منذ أن وقف الشاعر يغني أهازيجه فيهب مشاعرهم فراحوا يفسرون هذه الشخصية على أنها قوى روحية غريبة تحركها سمّوها حينذاك >> بشياطين الشعر<< كما ذاع عند العرب وهناك من وصف الشاعر بالجنون لقدرته الفذة في الخيال والابداع إلى أن جاءت الحركة الرومانتيكية في أوروبا، فراح تفرح في صحة الفنان العقلية، وتشخيص مرضه إن كان مريضا بحق، خاصة ما كتبه " ترلنج" Tarling و" هانز زاخس"

Hans Zakhs في قضية مرض الفنان ما يكشف ويجلو هذه حقيقة القضية، ويمكن - كما يرى الناقد - أن نناقشها في مقولتين عامتين هما العُصاب والنرجسية<sup>18</sup>.

### (1) - العصاب:

أول شيء شُخصّ به حالة الفنان أنه عُصابي Neurotic، وقد ذهبت محاولات التحليل النفسي المبكرة - كما يقول - "ليونيل مورداخي ترلنج" Lionel Trilling أنه ما دام الفنان عصابيا فإن محتوى عمله الفني عصابي كذلك، ومعناه أن هذا المحتوى لا يرتبط بالواقع ارتباطا صحيحا. وكما تُعد محاولة الدكتور "ساول روزنقايج" Saul Resenzuweig بعنوان << شبح هنري جيمس >> مثلا طيبا على تقدم التحليل السيكولوجي في هذا الصدد، فبالرغم أن دكتور "روزنقايج" يستكشف العنصر العصابي في حياة "جيمس" وإنتاجه نجده يرى أن هذا العنصر لا يقلل بحال من الأحوال قيمة "جيمس" بوصفه فنانا أو كاتباً أخلاقياً، وقد استفاد "روزنقايج" من الفكرة الشائعة على أن هناك علاقة سببية بين مرض الفنان روحياً أي عصابياً وبين قدرته على الإبداع الفني، أي أن المعاناة كانت السبيل إلى الوحيّ أي الإبداع، وكان الإبداع وسيلة لإخضاع تلك الآلام والتلذذ بها، وهذا ما أكدّه "ترليج" حين يقول: << وإنه ما من شك في أن ما نسميه مرضاً عقلياً يمكن أن يكون مصدراً للمعرفة الروحية >><sup>19</sup>. وهذا ما أكدّه "فرويد" بشكل مُغاير نوعاً ما على أن الشاعر عصابي وأن قدرته على استخدام عصابيته ليس بالتأكيد عملاً عصابياً وهو لا يوحي إلا بالصحة، فالفنان يشكل أُخيلتة ويجعل لها شكلاً وأصلاً اجتماعياً.

والنتيجة التي خرج بها "عز الدين إسماعيل" من خلال غوصه وتحليله لهذه القضية بتفرعاتها أن الفنان ككل شخص آخر قد يعاني من حالة مرضية، وقد يتألم لسبب أو لغيره، لكنه ليس مجنوناً حتى عندما يكون الفنان عصابياً، لا يكون لعصابه أي دخل في قدرته على الإبداع الفني لأنه حين يبدع يكون في حالة الصحة، واليقظة النفسية الواعية بكل ما في الواقع من حقيقة<sup>20</sup>.

### (2) - النرجسية:

وقبل الخوض في رؤية الناقد حول عقدة النرجسية وعلاقتها بالمبدع تجدر بنا الإشارة التذكير ان مصطلح النرجسية يعود الى اسطورة الفتى اليوناني "برسيس" الذي نظر الى صورته في الماء فأعجب بها وعشقتها والقى بنفسه عليها فغرق حيث نبتت مكانه زهرة النرجس<sup>21</sup>.

وفي علم النفس تُعرف النرجسية هي الاحساس بالعظمة وبأهمية الذات أو التفرد والاشتغال بأوهام النجاح غير المحدودة والحاجات الاستعراضية لجلب الاهتمام والاعجاب الدائم<sup>22</sup>.

وتتميز الشخصية النرجسية بالمبالغة في تقدير الذات والاهتمام بتحقيق حاجات غير محدودة ورغبة في استعراض الذات ولفت الانتباه والاعجاب ، أما العلاقات مع الآخرين فهي عرضة للانكسارات بسبب سطحية العلاقات التي يقيمها النرجسي بسبب عدم تحمله للنقد وانتظار المكافآت<sup>23</sup>

كما يتسم هذا النوع من الشخصيات بشعور العظمة التي تتمثل في التكبر والغطرسة والتفاخر بسلوكه مثل الادعاء الغير منطقي بوجود علاقات عمل أو ألفة مع أشخاص مهمين ومشهورين كما تتميز بالتعبير عن مشاعر العظمة وهذا بشكل خيالي فقط ، فلديه أحلام اليقظة كامتلاك ثروة طائلة أو منزل فخم<sup>24</sup>.. الخ

وفي هذه النقطة يطرح الناقد أسئلة التالية : أصحيح أن الفنان مفرط في حب ذاته، وفي تقديره لها واعتزازه بها ؟ وعلى أي نحو؟ وهل يمكن أن يكون الإفراط في حب الذات مُفسرا لكونه فنا؟ أم أن هناك نرجسية خاصة يتميز بها الفنان؟

عرض الناقد رأي " زاخس" في تناوله لهذه القضية في التفريق بين الشعر وحلم اليقظة، فوجد أن أوجه الاختلاف بينهما تتمثل دائما في الدور المحدود للمبدع، فصاحب حلم اليقظة يتخذ دائما من نفسه بطلا، في حين أن الشاعر لا يصنع هذا قط، فالشاعر عندما يحكي قصته بشكل من الأشكال يستخدم جزءا كبيرا من حياته الخاصة مادة لذلك، يصنع ذلك بمعنى يختلف تماما عنه عند الحالم في اليقظة، فهو لا تقوده الرغبة في تمجيد ذاته، بل في تَفَصُّيْهَا، ولا بد للشاعر من التضحية بهذه النرجسية للانتقال من حلم اليقظة الذي هو بمعزل عن المجتمع إلى العمل الفني الذي يجب أن يكون واقعا وهي ضريبة التي لا بد منها حتى يؤدي الفنان وظيفته الاجتماعية التي لا تتحقق إلا إذا استقبل الجمهور ما أبدع، وقد تسأل " زاخس" فقال: >> إن الحالم في اليقظة

يجعل من حياته وسيلة للحصول على إرضاء نرجسي للشخصه الخاص، فماذا يحدث لهذه النرجسية عندما يضطر المبدع لإخضاعها لكي يظفر بالمشاركة، أي الاستعداد لتحقيق الذات من جانب الجمهور، وعندما يحدث هذا التحول يبرز شكل العمل الفني وجماله، فهما يجعلانه جذابا ويُساعدانه على إثارة العواطف والسيطرة عليها، ومنه فإن الشاعر عليه أن يُضحى بنرجسيته لكي يوفر الجانب الجمالي في عمله وذلك بتحويلها من المبدع إلى المبدع - العمل الفني - ومنه يُصبح عمل الشاعر الجزء الجوهرية في شخصيته فما دامت نرجسيته قد انتقلت إلى هذا العمل فهو أهم بصفة عامة من الصداقة أو الحب أو سائر ما تبقى من الحياة >> 25 .

ويرى " زاخس " أن للشاعر من خلال ابداعه هدفين رئيسيين مرتبطين بالاشعور وهما: التخفيف من الشعور بالذنب وكذلك تعويض نرجسيته، وأن هذين الهدفين غير منفصلين، ولا يمكن أن يتحقق أحدهما دون الآخر، ولكنهما من الطبيعي ليسا على نفس القدر من القوة في كل حالة وهما العاملان اللذان يشكلان الفوارق في الأساليب الأدبية والفنية والمدارس الأدبية .

ليخرج "عز الدين إسماعيل" إلى خلاصة مفادها أنه مهما يكن فالنتيجة التي نخرج بها أن الفنان ليس نرجسيا بالمعنى المؤلف، أو بالمعنى العادي للكلمة، وذلك لأنه لا يُعزم بذاته ولا يصنع من نفسه بطلا كما يصنع الحالم في اليقظة، كما أنه يختلف عن الزعيم وإن اتفق معه في كسب الجمهور إليه، لأنه يحاول - كالزعيم- أن يستغل عواطف جمهوره لغرض شخصي، وأن نرجسية الفنان نرجسية مُحَوَّلة أو منقولة، أي أنها نرجسية مُلغاة يُعوضه عنها العمل الفني بنرجسية أرحب<sup>26</sup> وإذا كنا قد رأينا أن عصاب الفنان لا يُفسر لنا قدرته على الإبداع، فكذلك لا نستطيع هنا أن نفسر هذه القدرة برغبة الفنان في كسب تلك النرجسية التعويضية التي يضمنها له العمل الأدبي فالرغبة شيء والقدرة شيء آخر.

ومن ثمَّ نجدنا من خلال فحص هذين المقولتين: العصاب، النرجسية، وقد وصلنا إلى بعض مُشخصات الفنان، ولكن بطريقة سلبية كأن نميز بينه وبين العصابي أو الحالم في اليقظة أو الزعيم، أما التفسير الإيجابي فهو معرفة تلك القدرة التي تجعل من الإنسان فنا ومنه نستطيع تفسير عبقريته<sup>27</sup>.

### (3) - العبقرية:

وفي التراث السيكلوجي الحديث هناك تعريفات عديدة خاصة بالمصطلح ولكنها تتفق فيما بينها في أنها تُشير إلى القوى والطاقات و الانجازات العقلية الفائقة وغير العادية ، والعبقرية في ضوء هذه التعريفات تُجمع على أن العبقرية هي محصلة لتفاعل خاص بين القدرات التي تنتمي إلى المستويات العليا من القدرات الخاصة بالذكاء وايضا المستويات العليا الخاصة بالأبداع والخيال .28

ويطرح لنا الناقد التساؤلات التالية: ما مشخصات عبقرية الفنان؟ وما طبيعة تلك المقدرة الخاصة التي تجعل من الإنسان فناناً؟

يذكر " سوبر " Super " أن الدراسات الوحيدة التي تمّ فيها تحليل هذه القدرة هي دراسات " مايير Mier"، وتلاميذه في جامعة <<أيوا>> وقد تمّ تحليل هذه القدرة عن طريق دراسة سير الفنانين وإنتاجهم دراسة موضوعية، وقد انتهت هذه الدراسات إلى تحديد خمسة عوامل تدخل في القدرة الفنية وهي<sup>29</sup>:

(أ) - المهارة اليدوية.

(ب) - القدرة على بذل النشاط والاستمرار في العمل.

(ج)- الذكاء الجمالي ويقصد به القدرة على إدراك المساحات.

(د)- الخيال الابتكاري وهو تنظيم الإحساسات الحية في إنتاج جمالي.

(هـ) -الحكم الجمالي، ويعرف بإدراك الوحدة في التنظيم .

وللإشارة أن العالم "البرت" R.S.ALBERT يعرف العبقرية تعريفاً يقوم على أساس الانتاج فيقول:

>> أن العبقري هو شخص يقوم بالإنتاج عبر مدى طويل من الزمن لعدد كبير من الاعمال التي يكون لها تأثيرها الواضح والكبير على الآخرين لسنوات عديدة <<<sup>30</sup>.

وكما أجاب الناقد " عزّ الدين إسماعيل" عن سؤال مفاده "يمكن قياس القدرة الفنتية للعبقري؟ فرأى أن الدراسات التجريبية القائمة على الاختبار لا يمكن استخدامها للأسف مع عباقرة الفنّ لأنهم أقدر ما يكونون على الروغان، وهذا إذا هم قبلوا أن يضعوا أنفسهم موضع الاختبار<sup>31</sup> .

ويشير الناقد إلى دراسات "كوكس" Coxe التي تعد من أهم الدراسات التي أجريت على العباقرة وتقوم على القياس التاريخي: >> وتستغل هذه الطريقة كل المعلومات التاريخية عن الفرد أو مجموعة من الأفراد، وتُجمع المعلومات فيها من مصادر مختلفة كالسيرة الشخصية والمؤلفات واليوميات والخطابات وجمع أقصى ما يمكن جمعه من معلومات خاصة عن مرحلة الطفولة والشباب للعباقرة، وتتميز هذه الطريقة بتقديم ما يُجمع من معلومات تبعاً لمعايير ثابتة، وقد اقترح "ترومان" Truman تعديل هذه الطريقة بمقارنة إنتاج العبقرية بمتوسطات الأعمار العقلية في اختبار "ألفريد بينيه" Alfred Binet للذكاء بحساب معامل الذكاء العبقرية صاحب الإنتاج >><sup>32</sup>.

وتبقى هذه اجتهادات العلماء في قياس العبقرية وطرق قياسها وتبقى هذه الطريقة غير ناجعة عند الفنان لأنه يمتاز بالروغان كما يرى "عز الدين إسماعيل".

ليعرض الناقد إلى نقطة أخرى في هذا الجانب ألا وهي الذكاء، فيرى أن العبقرية إنسان ذكي متميز الذكاء، وليس متميزاً بالذكاء على الآخرين من الناس الأسوياء، عقلياً فكل هؤلاء أذكيا ولكن درجة الذكاء تختلف بينهم، وهذا الاختلاف يُرجعه العلماء إلى اختلاف التكوين العضوي للفرد وفي الوراثة، ويرجع كذلك إلى عوامل اجتماعية وثقافية، لأن هناك من يُعرّف الذكاء بقدرة الفرد التكيف مع بيئته<sup>33</sup>.

ليطرح بعدها سؤالاً مُهماً متمثلاً: ما هي تلك الوظائف النفسية التي تدخل في مكونات العبقرية؟

ليعرض لنا ما انتهى إليه "جليفورد" Gilford نقلاً عن ما استفاه وانتقاه من كتاب >> العبقرية في الفن << لـ "مصطفى سويف" في كتابه "الاسس النفسية للإبداع الفني وفي الشعر خاصة" ويمكن إجمال ذلك باختصار إذ يرى "جليفورد" على أن النشاط الإبداعي يعتمد على ثلاثة أنواع من الوظائف النفسية وتختلف في طبيعتها في دور الابتكار وهي:<sup>34</sup>.

(أ)- مجموعة وظائف خاصة بالإدراك والمعرفة ويشترط أن تنشط معها مجموعة أخرى من الوظائف كي تكتمل صورة النشاط الابتكاري ويكون الإبداع.

(ب)- مجموعة الوظائف الإنتاجية وهي مستقلة عن وظيفة إدراك المشكلات وتتألف من ثلاثة عناصر وهي: الاصالاة والطلاقة والمرونة.

(ج)- وظيفة التقويم: وهي الوظيفة التي نحكم بها على قيمة شيء ما أو موضوع ما من حيث ملاءمته.

ليقر الناقد " عز الدين إسماعيل" على أن التحليل الذي قام به " جليفورد" ربما كان أصدق محاولة لتحديد الوظائف النفسية التي تعمل في كل عمل ابتكاري، لان هذا التحليل ألقى فيضا من الضوء على مكونات العبقرية. فالعبقرية إذن هي ذكاء ونشاط في الوظائف النفسية أي ذكاء انفعال، وهو ذكاء متفوق وانفعال حاد ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن للعبقري منطق خاص في تناول الأمور وفهمها وعرضها يُغاير منطق الإنسان العادي، فالعبقرية إذن إلى جانب أنها ذكاء وانفعال حاد وللعبقري طريقة خاصة في التناول، فالذكاء والانفعال يمثلان في العبقرية الضرورة ، أما طريقة التناول فتمثل في عبقرية الإمكان. ليُقر الناقد بحقيقة أخيرة من خلال خوضه لقضية العبقرية ،على أنها لا تزال ، وربما ستظل لفترة قد تطول مشكلة عصية الحل<sup>35</sup>.

#### - الخاتمة :

بعد خوض غمار هذا الموضوع الدقيق والعميق في البحث عن البُعد السيكلوجي للأبداع الفني عند" عز الدين اسماعيل " نستطيع أن نخرج بجملة من النتائج والمخرجات التي يمكن بدورها أن تبلور لنا الرؤية النقدية السيكلوجية عند الناقد وهذه النتائج من أهمها :

- ان الادب والفن له كيانه المستقل وله دوره الكاشف عن الحقائق التي تجمعها أطراف الحياة ، وبما أن الأدب وعلم النفس منهجان يسيران في خطين متوازيين وليسا متداخلين فنحن إما أن نُنشئ أدبا أو نكتب علما

- درس الناقد دوافع الابداع الفني عند الادباء من خلال المنطلقات التي يسبقها بها علماء مدرسة التحليل النفسي ،ف"سيغموند فرويد" فيرى أن الغريزة والشبقية الي التي تحرك الانسانية وتفجر في الاديب ملكة الأبداع وبعد مرحلة الكبت والتسامي ، وأما "يونخ" يري أن اللاشعور الجمعي هو المحرك للأبداع فالعادات والتقاليد والموروثة من الاباء الى الأحفاد عن طريق الاجداد هي الارضية الخصبية للعمل الابداعي ، وأما "الفريد أدلر" فيرى أن عقدة النقص التي تسطر على شخصية

الفنان وسعي الفنان التي تغطيتها بشي من النرجسية من خلال أعماله الفنية هو أصل الابداع ودافعه الاساسي وأما "عز الدين اسماعيل" يرى أن النقد السيكولوجي استطاع أن يكشف لنا عن الكثير من الحقائق في شخصية الفنان ولكن لم يتمكن من معرفة كل شيء عنه

- درس "عز الدين اسماعيل" شخصية الفنان من جانين هما: العصاب والنرجسية أم العصاب فبالرغم من العديد من التفسيرات القائلة أن الفنان انسان مريض عصابيا الا أن الناقد "عز الدين" يرى أن الاديب انسان كباقي البشر قد يعاني من حالة مرضية ولكنه ليس مجنوناً، فحتى عندما يكون عُصابيا لا يكون لعصابه أي دخل في قدرته على الابداع الفني.

- يرى "عز الدين اسماعيل" أن الفنان ليس نرجسي بالمعنى المؤلف لأنه لا يُغرم بذاته و لا يصنع من نفسه بطلا كما يصنع الخالم في اليقظة ، وان نرجسية الفنان نرجسية مُحورة أو منقولة أي انها نرجسية مُلغاة يُعوضه عنها العمل الفني بنرجسية أرحب .

- يري الناقد أن عبقرية الفنان لا يمكن قياسها لأنه يتميز بالروغان - هذا إن قَبَل أن يجعل من نفسه موضع اختبار- ويرى أن العبقرية من أصعب القضايا والمشكلات في علم النفس وكما يرى أن الفنان انسان ذكي مُتميز الذكاء على الاخرين، وليس متميزا بالذكاء على الاخرين من الناس، وأن أصدق واقرب محاولة لقياس العبقرية هو ما قام به "جيلفورد" فالعبقرية عنده هي ذكاء ونشاط في الوظائف النفسية أي ذكاء وانفعال وهو ذكاء متفوق وانفعال حاد .

**هوامش:**

(1) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي، دار العودة، بيروت ، دت، دط، ص 13.

(2) ينظر المرجع نفسه ، ص 14 .

(3) ينظر المرجع نفسه، ص 14.

(4) المرجع نفسه، ص 14 - 15 .

(5) ينظر المرجع نفسه ، ص 15 .

(6) المرجع نفسه ، ص 16 .

(7) المرجع نفسه، ص 11 .

(8) - ينظر المرجع نفسه ص 20.

(9) - عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي ص 21 . نقلا عن كتاب :

Ropbak (A.A): the Psychology of literature of present day psychology  
.ed.R.Obock. owen. london.1996.p86.

- (10) ينظر المرجع نفسه ، ص22.
- (11) ينظر المرجع نفسه ص 25 .
- (12) المرجع نفسه ، ص26.
- (13) المرجع نفسه، ص 40 .
- (14) ينظر المرجع نفسه ، ص45.
- (15) ينظر المرجع نفسه ، ص 48 .
- (16) ينظر المرجع نفسه، ص 49 .
- (17) ينظر المرجع نفسه ، ص 28 .
- (18) ينظر المرجع نفسه ، ص 29 .
- (19) ينظر المرجع نفسه، ص 31 .
- (20) ينظر المرجع نفسه، ص 32 .
- (21) احمد عبد اللطيف ابو سعد ،علم نفس الشخصية ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع اريد ، الاردن ، ت2010،ص244 .
- (22) قاسم حسين ، علم نفس الشواذ والاضطرابات العقلية والنفسية ، جامعة صالح الدين اربيل ، كردستان ، العراق ، ط1 ، ت 2005 ، ص 41 .
- (23) محمد أحمد النابلسي ، اصول الفحص النفسي ومبادئه ، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، ط ، ت 1997 ، ص84.
- (24) محمد السيد عبد الرحمان ، علم الامراض النفسية والعقلية (الاسباب ، الاعراض ، التشخيص والعلاج ) مكتبة الزهراء الشرف للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط ، ت 2009 ، ص367.
- (25) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي ، ص33.
- (26) ينظر ينظر المرجع نفسه ، ص36.
- (27) ينظر المرجع نفسه، ص36.
- (28) دين كيث سايمنتن ، العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة شاكرا عبد الحميد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، ط ، ت 1990 ، ص09.
- (29) سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف بمصر، ط2، 1962، ص 413 – 414. نقلا عن كتاب عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص38، .

- (30) دين كيث سايمنتن ، العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة شاعر عبد الحميد ، ص 09.
- (31) ينظر عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ص 38.
- (32) آن زانجيل، مدخل إلى علم النفس الحديث رقم 141 من سلسلة ألف كتاب، ص 205، ص 239. نقلًا عن كتاب عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي، ص 38.
- (33) ينظر عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي، ص 39.
- (34) ينظر المرجع نفسه، ص 40.
- (35) ينظر المرجع نفسه ، ص 41.42.

### . قائمة المراجع: <sup>1</sup>

- 1- احمد عبد اللطيف ابو سعد ،علم نفس الشخصية ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع اريد ، الاردن ، ت 2010 .
- 2- قاسم حسين ، علم نفس الشواذ والاضطرابات العقلية والنفسية ، جامعة صالح الدين اربيل ، كردستان ، العراق ، ط1 ، ت 2005..
- 3- سعد جلال، المرجع في علم النفس، دار المعارف بمصر، ط2، 1962.
- 4- عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي الأدبي، دار العودة، بيروت ، دت ، دط.
- 5- محمد أحمد النابلسي ، اصول الفحص النفسي ومبادئه ، المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، مصر ، دط ، ت 1997.
- 6- محمد السيد عبد الرحمان ، علم الامراض النفسية والعقلية (الاسباب ، الاعراض ، التشخيص والعلاج ) مكتبة الزهراء الشرف للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، دط ، ت 2009ذ.
- الكتب المترجمة الي اللغة الاجنبية :
- 1- آن زانجيل، مدخل إلى علم النفس الحديث ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد من سلسلة ألف كتاب، دار النشر الاليكتروني، مصر ، دت ، دط.
- 2- دين كيث سايمنتن ، العبقرية والابداع والقيادة ، ترجمة شاعر عبد الحميد ، المجلس الوطني للثقافة والفنون ، الكويت ، دط ، ت 1990.
- الكتب باللغة الاجنبية:

1- Ropbak (A.A): the Psychology of literature of persent.day  
psychology .ed.RObock. owen. london.1996

